مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة باتنة1 المجلد (24) – العدد (01) (جوان، 2023) -ص 115- 128
ISSN 1111-5149 /E. ISSN 2430-2588

الخيال السوسيو ثقافي وأثره في بناء واقعية المشهد الموسيقي في الفيلم
- دراسة تحليلية لمقطوعات موسيقية مختارة من فيلم مصطفى بن بولعيد -

Sociocultural fiction and its impact on the construction of the realism of the musical scene in the film an analytical study of selected pieces of music from the film Mustafa Ben Bouleid

خـــزار نورالدين* [1] ، (جامعة جيلالي ليابس - سيدي بلعباس - الجزائر)، khazzar.nrd@gmail.com
شنـــة سليم[2]، (جامعة زيان عاشور - الجلفة - الجزائر)، salimchen1972@gmail.com

تاريخ الاستلام	تاريخ القبول
2022-11-01	2023-01-03

ملخّص

تسعى هذه الدراسة إلى إبراز أهم الأبعاد الأساسية التي تجعل من الموسيقى الفيلمية وسيلة بارزة في صناعة واقعية الصورة السينمائية، انطلاقا من فعالية مستوياتها الخطابية، لما لها من تأثير كبير في تفعيل نشاطاتها الرمزية مع العناصر المكونة للصورة المرئية، بحيث بدت لنا إشكالية هذه الدراسة على إظهار مفهوم الخطاب الموسيقي من حيث البنية التفاعلية الرمزية وعلاقته بمستوى التلقي، ضمن عملية إدراكية حسية لإبراز الآليات الدرامية الموظفة في أدائية المشهد الموسيقي، عبر عملية التوهم لغرض تحقيق معاني البنية السيكولوجية والفعل السوسيو ثقافي في سردية تدفق الواقع الخيالي، مع إبراز أهمية المادة الأكوسماتيكية التي تنقل المضمون الصوتي في الوعي المتلقي "المشاهد".

الكلمات المفتاحية: الخيال؛ الموسيقى؛ إثنوموسيقولوجيا؛ الأداء؛ الفيلم.

Abstract

This study seeks to highlight the most important basic dimensions that make film music a prominent means in creating the realism of the cinematic image, based on the effectiveness of its rhetorical levels, because of its great influence in activating its symbolic activities with the constituent elements of the visual image, so that the problem of this study seemed to us to show The concept of musical discourse in terms of the symbolic interactive structure and its relationship to the level of reception, within a sensory perceptual process to highlight the dramatic mechanisms employed in the performance of the musical scene, through the process of delusion for the purpose of realizing the meanings of the psychological structure and sociocultural action in the narrative flow of imaginary reality, while highlighting the importance of the acoustic material that conveys the vocal content In the consciousness of the recipient "viewer".

Keywords: fiction; music; ethnomusicology; performance; film.

* المؤلف المراسل

مقدّمة

يعد موضوع الموسيقى الفيلمية من بين المواضيع المعقدة في النظرية الفيلمية، كون طرحها جد صعب في فهم بنيتها الوظيفية، خاصة في سياق عملها الدرامي الذي يرتبط بالنسيج الفيلمي، حيث ركزت الكثير من الدراسات الأجنبية على تحليل ووصف الظواهر الموسيقية من أبعاد علمية انطلاقا من الأساليب البحثية التي تختص بمجال الموسيقولوجيا.

وعندما أسهمت الموسيقى الفيلمية في فهم العمل الموسيقي على حساب نشاطه الممارساتي في سردية المشهد الفيلمي، فلو نفترض أن نتوقف عند النظرية الفيلمية التي تعالج الخطاب الفيلمي من المنظور السطحي، يصعب علينا الأمر في التعمق والحفر في معنى وظيفة ودلالة نوتة ودرجة تزامنها مع ما يعادلها من علامات بصرية وحركية تشكل المفهوم السينمائي، ولهذا أرتأينا في هذه المحطة البحثية التوغل في مجال أفلام الواقعية الجديدة، والبحث عن آليات تفعيل معنى واقعية المشهد على حساب الخطاب الموسيقي.

ـ إشكالية الدراسة

ومن هذا المنطلق البحثي نريد تسليط الضوء على مرجعية الكتابة الموسيقية في تدعيم معنى المشهد المرئي من منظوره السيكولوجي، والسوسيوثقافي العرقي لواقعية الصورة السينمائية، والبحث في كيفية تحقيق معنى تلك اللحظات الحقيقية من الزمن الفيلمي عبر عملية فهم الخطاب الموسيقي وفعالية أدائه في مخيلة المشاهد المستمع، حيث تنبثق من إشكالية الدراسة التي تخدم موضوع البحث من جوانب مختلفة التساؤل التالي: **على أي أساس ترتكز الكتابة الموسيقية في بناء واقعية الحدث الدرامي؟**

ـ أهمية الدراسة

وأهمية هذا الطرح في دراسة أعطيت أهمية بالغة، خاصة وأنها تبحث في البنية النغماتية "المقطوعات الموسيقية" التي تتزامن مع المشهد المرئي المعادل، فقد تتضح أهمية هذا الطرح في مرحلة دراسة سياق الموقف الدرامي مرتكزا في ذلك على أدوات الوصف والتحليل، وكذلك فهم كل العلامات والأنساق الفيلمية التي تشتغل وتتداخل في المنظومة الرمزية.

ـ أهداف الدراسة

إن اكتشاف بعض المعالم الخفية من موسيقية المشهد في ضمنية حركية الفيلم، هو بمثابة هدف أساسي يأخذنا إلى توضيح كل ما يتعلق بخصائص الفن الموسيقي وعلاقته بتوليف وبناء لغة الصورة السينمائية، وكل هذا على حساب تحديد بنية الفكرة الموسيقية ومرجعيتها التي تدرج ضمن مرحلة التدوين في الكتابة الفيلمية.

ـ منهج الدراسة

اعتمدت هذه الدراسة على المنهج السيميائي الذي يلائم طبيعة موضوع الدراسة من حيث تحليل المشاهد من الزاوية الموسيقية وفي سياقات مختلفة.

1- الموسيقي التصويرية ومحاكاة الواقع الاجتماعي

تصل الموسيقى التصويرية إلى درجة عالية من الأداء التمثيلي في حالة ما يحاكي الموسيقي واقعية السرد الدرامي، لغرض تفعيل تركيبة المشهد الخيالي عبر عملية أدائية جد معقدة من خلال إدراجه للمعاني التي تحملها تلك الظواهر الاجتماعية في تشكيل سياقات الحدث المرئي.

ومن هنا تظهر ثنائية الترابط بين الثقافة "الموسـيقى" والنظام الاجتماعي في علاقة جد معقدة، تنتج عنها أشياء ثقافية باعتبارها عناصر رمزية للتقاليـــد الثقافية أو نمــاذج للقيم، وعليه فإن الفن الموســيقي يتضــمن أشــياء مثل لغة المجتمع والرموز الأخرى، كالأعلام والعقائد الدينية للمجتمع على حسب تحديد "بارسونس". (هارلومبس و هولبورن، 2001، صفحة 25)

وبالتالي تأتي العملية الأدائية في ظل وجود إســقاط أفكار المجتمع على مرحلة الكتابة الواقعية للموسيقى الفيلمية، أي يضبط شكلها النهائي على مستوى التأليف ما يسمى بـــمرحلة "تدوين ملامح الواقع الاجتماعي"، في البنية الصــوتية التي تأخذ أداء جمالياً للفعل الاجتماعي في حركية تمثيل الصورة الفيلمية. (kouidri, 2015)

وهذا انطلاقاً من معالجة حقائق البيئة القصــصــية لغرض فهم جميع الجوانب التي تتعلق بالحياة اليومية، ومن هنا يتوصــل المؤلف الموســيقي إلى مرحلة تحقيق المحاكاة بفعل وجود كتابة واقعية ناجحة، والتي تنطلق من محطة البحوث والمرجعيات العلمية والفكرية والثقافية ومعايشــة الحياة اليومية من زاوية أخرى.

وفي هذه الحالة، يعبر الموســيقي بأداء ســوســيولوجي يوازي مضــمون الحركة التمثيلية في خطابية الفيلم، ومن زاوية أخرى، تركز الســوســيولوجية الفيلمية على مقاربتين أساسيتين: فالأولى تهتم بمســتوى الكتابة التي تتجســد في مجال التدوين الموســيقي، أما الثانية فتتمثل في الأدوات المستخلصة في استخدامها لغرض تشكيل الأداء الموسيقي. (sebag, 2012)

وفي كلتا المقاربتين يســتعين المؤلف قصــد تحقيق الترابط المتتالي، في خلق المناخ الذي يسمح له باستحضار رؤى فنية أصيلة تحاكي النسيج الاجتماعي بلهجته الملموسة، وتستطيع أن تسير النشاط التفاعلي وبمعايير أساسية في كتابة النسيج الخطابي لأفلام الواقع وكيفية توثيقها برؤية فنية جمالية وموضــوعية، وعلى هذا الأســاس تتضــافر النشــاطات الرمزية في عمق البنية السمعية البصرية بانسجامها مع بعضها قصد تحقيق حاسة المجتمع الممثل في فضائية المشهد الواقعي، وبتفسير آخر حول المحور الذي يدور بين المحاكاة وكيفية معالجة قضايا الواقع، يستلزم على المؤلف الموسيقي وبالتحديد في بناء فكرته الموسيقية وفق أطر تشكل الوعاء الجماعي للقصة الخيالية؛ فمن باب الموضــوعية والمصــداقية، يذهب إلى فهم ومعرفة الكثير من الحيثيات عن حياة الفرد وعلاقته بالجماعة، وطريقة تفاعله وانفعاله معها، إلى جانب ســلوكياته وتفكيره الاجتماعي الذي يجعله يتكيَّف مع الواقع اليومي، في ســياق تحقيق معادلة فنية تحاكي مضــامين البناء الاجتماعي، بمعنى أنها تؤدي تمثلاته بواسطة لغة موسيقية ذات صلة رمزية مع النسيج السردي الذي ينشط وظائف الرمز وسياقه الدلالي، في ظل وجود المحاكاة لرمزية عناصر المجتمع التمثيلي في البنية الفيلمية، يتشكل الخطاب التعبيري من مرجعية الفضاء الاجتماعي الذي يخضع إلى قوانين

مماثلة تدرس نشأة المجتمع وطبيعته وتتنبأ بمستقبله، وعلى هذه الوتيرة تحدث "أوغست كونت" عن المراحل الثلاثة التي يمر بها المجتمع، وتنبأ بدور كبير للعلم في تشكيل البنى الاجتماعية. (فيبر، 2013، صفحة 17)

مما يتولد عن البيئة الواقعية للفيلم على اعتبار أنه مفهوم البناء الاجتماعي، وهو من بين أهم المفاهيم المتداولة في الدراسات السوسيولوجية والأنثروبولوجية المعاصرة، وكلاهما يتدخلان في سياق الأنثروبولوجية الاجتماعية، حيث يعتبر هذا المصطلح جديدا لأنه ظهر منذ زمن قريب حينما قام "راد كليف براون" بإلقاء محاضرته الشهيرة بعنوان "البناء الاجتماعي". (محجوب، 1975، صفحة 25)

وبتفسير آخر حول فعالية الأداء السوسيولوجي للموسيقى التصويرية، تنشأ واقعية المشهد الموسيقي من خلال تضافر الجهود التي تساهم في إنجاز التكامل البنيوي في سينمائيته، بمعنى أن المؤلف الموسيقي ينظر إلى المجتمع الممثل في المشهد باعتباره مجموعة من الوحدات المتكاملة، التي تشتغل وفق علاقات تحكمها معايير وقيم محددة، كما يترتب عن ذلك صدور مجموعة من السلوكيات المتنوعة التي تخضع إلى نظم اجتماعية معينة، ومن جهة أخرى يتأثر أفراد هذا المجتمع في الموقف الاجتماعي الواحد في صيغة المساندة أو التناقض أو التنافر القائم بين هذه النظم، حيث أن الشخص يتأثر في قيامه بدوره في المواقف الاجتماعية المختلفة، وبالقيم والمعايير السائدة في عديد من النظم الاجتماعية المتساندة، والتي تكون البناء الاجتماعي الذي ينظم المراكز المحددة التي يتوزع عليها الأشخاص في المجتمع.

كما يستفيد المؤلف الموسيقي كثيراً من نتائج تحليل الوظائف البنائية للمشهد التمثيلي، انطلاقاً من دراسة مفرداته الأساسية التي تتمثل في مفهوم المركز، الدور، الوظيفة المعايير والقيمة، إذ تقوم أعماله من منطلقات بحثية تساعده على تدوين واقعية المجتمع المعالج في الفيلم، بتعبير موسيقي مبني وفق أفق التحليل السوسيو -أنثروبولوجي لغرض فهم العلاقات والنظم الاجتماعية، على النظر بطريقة كلية وشاملة إلى تلك المراكز الاجتماعية المتمايزة، والتي يتوزع عليها الأشخاص في النشاطات الاجتماعية المتنوعة، مما يسمح لنا بفهم مظاهر التفاعل الاجتماعي بصورة منهجية، والذي يساعد على إظهار نوع من الانسجام والتنظيم الذي يقوم وراء صور التنافس والتناقض والصراع واختلاف المصالح بين الناس.

ويعتبر عنصر الاستمرار في التعريف بمصطلح القيمة عنصراً هاماً مميزاً ما دامت القيم الاجتماعية من المبادئ الأساسية التي توجه سير المجتمع بكل جماعاته المحلية الصغيرة، وذلك لأنه على الرغم من أن السلوك الاجتماعي أو ما يطلق عليه بعض علماء الأنثروبولوجيا باسم الفعل الاجتماعي، فالقيمة الاجتماعية من حيث هي مبدأ أو مثال أعلى، تنتقل من جيل إلى آخر وتكون نوعاً من التراث الاجتماعي والثقافي، وما يتغير هو فقط المظاهر الخارجية أو المظاهر السلوكية التي تتجسد فيها هذه القيم وتلك المبادئ مثل فكرة الشرف مثال التي هي قيمة اجتماعية في كل المجتمعات. (محجوب، 1975، صفحة 26)

وبمعنى آخر، يتجســد الفعل الاجتماعي بواســطة الأداء الموســيقي في تركيبة النســيج الســوســيولوجي للبنية الفيلمية، من خلال فهم معنى البناء الاجتماعي الذي يرتكز عليه النســيج المرئي، إذ يتضــمن وجود نوع من التماســك والتوافق بين أجزائه، وهذا إلى الحد الذي يمكن معه تجنب التناقض الصارخ أو الصراع المكشوف، وأنه يتمتع بدرجة كبيرة من الديمومة، والبقاء أكثر مما تخطى به معظم الأشياء العابرة والسريعة في الحياة الإنسانية، ولهذا يرى "راد كليف براون" أن البناء الاجتماعي بمثابة شــبكة معقدة من العلاقات التي تتمتع بدرجات متفاوتة من الثبات أو الاســتقرار والاستمرار .

2ـ الموسيقى التصويرية في سردية المشهد الواقعي بين الممارسة والخيال الاجتماعي

تأخذ الموسـيقى التصـويرية أشـكالا وتنويعات مختلفة في بناء المخيلة الجمعية في سـردية المشهد الخيالي، إذ تساهم في تحقيق ملامح تطابق الصورة السمعية والبصرية التي تنّظم مفهوم ومعنى العملية الإدراكية على مستوى التلقي، ففي هذه الحالة المشهد يستمع إلى الحالة الاجتماعية التي يعبر عنها بواسطة تمثيلات مرئية ولكنه يتعزز بمقطوعات موسيقية تدخل في سياق موسيقية المشــهد في الفيلم، وفي أصــالة العمل الموســيقى التصــويرية على وجه الخصــوص، ولهذا تعتبر الموسيقى التي توظف في سياق هذا المعنى كممارسة للخيال الجمعي، بفضل عملية التوهم التي تدور بين المؤلف الموسيقي ونصية المشهد التمثيلي أثناء مرحلة الصناعة الفيلمية.

وعلى هذا الأســاس، تســهم الســيســيولوجيا الخيالية في تعزيز فكرة الممارســة الأدائية للموســيقى التصــويرية، حيث أنها تزود الموســيقي بمعارف مرتبطة بخيالية الموضــوع الذي يريد تناوله موسـيقيا، ومن هنا تأخذ الموسـيقى المشـهدية فكرتها من النسـيج الاجتماعي الذي يشـكل مرئية المشهد من المنظور الاجتماعي، فالممارسة الموسيقية تأخذ فكرتها من الموضوع المشهدي الذي يؤسس الظاهرة السوسيولوجية في واقعيته. (legros & monneyron, 2006, p. 106)

ومن هنا يؤدي المؤلف عمله بطريقة محكمة ودقيقة توصــله إلى بناء عمل أصــيل يتمثل في التيمة الموســيقية، وتمثل هذه التيمة بدورها ميزة أســاســية للمشــهد التمثيلي، إذ تحتوي فكرة موسـيقية المشـهد على أبعاد متنوعة تتظافر في نشـاطها الرمزي مع تنوع لغة الخطــاب الفيلمي، لغرض تشــكيل معاني الواقع وتكوين الحس الاجتماعي من خلال نقل التمثلات الاجتماعيــة في صــوتية الأداء النغماتي، فالموســيقى التصــويرية في هذه الحالة تترجم الظاهرة الاجتماعية التي يشتغل عليها الحدث السينمائي.

تأخذ الموسيقى واقعيتها من المشهد الخيالي حينما توظف في سياقها الأدائي معاني المعايير والقيم، التي يتضمنها النسيج الاجتماعي من حيث معالجته كظاهرة مكونة للموقف الدرامي، وعلاوة على ذلك، وبغض النظر عن المفاهيم النفسانية أو السيسيولوجيا المختلفة، فإنه يمكن دائماً اعتبار التمثل الاجتماعي كرسالة قيمة تتضمن معايير موضوع غائب، والموضوع الممثل يحتوي على أفعال ومشـاعر، وفي هذه الحالة، تظهر الموسـيقى التصـويرية كظاهرة اجتماعية، تحاول تفسـير الأحداث الحقيقية التي تخص علاقات الفرد مع وســط جماعاته من ســياقات مختلفة تنصــب في قوالب

أكوستيكية ذات صلة بخيالية الخطاب الواقعي، فالمعادل المسموع يقتبس قوانينه من النسيج الاجتماعي المعالج في نصية المشهد. (legros & monneyron, 2006, p. 107)

ومن جهة أخرى، تتعزز نصية المشهد على بنية موسيقية تتزامن مع حركية الفعل الاجتماعي مما ينشط عملية الإدراك الحسي المزدوج، وعليه يتولد في ذهنية المشاهد مخيلة اجتماعية ناتجة عن فعل التوهم الذي يجعل المتلقي يعيش لحظات بكل أبعادها السوسيولوجية للمشهد الممثل، بحيث يعبر الأداء الموسيقي عن عملية التمثل للرموز الاجتماعية التي تضبط التفاعل السيميوسياقي للفيلم، إذ تأخذ الرمزية الاجتماعية "social Symbolisme "التي تستعمل الوصف "الرمزي" للدلالة على مختلف جوانب الحياة الاجتماعية، ومن هذا المنطلق يقصد بالرمزية النشاط الإبدالي الذي يقدم إر ضاءات تعويضية، نظراً لعدم تحقق النتائج المرجوة في ذلك؛ كما يستخدم الوصف الرمزي في مجال الأساطير والطقوس، والأضحية والصلاة، بمعنى أن للمعتقدات والعبادات والطقوس لها تفسيرات رمزية، ولا تفسر حرفياً. (خليل، 2009، صفحة 112)

3ـ التفعيل الموسيقي للتمثلات الاجتماعية في سردية فيلم مصطفى بن بولعيد

يتناول الفعل الموسيقي في سردية المشهد الفيلمي العديد من المفاهيم، التي تتضمن معاني مختلفة على حسب الظاهرة المعالجة في نصية القصة السينمائية، وفي هذه الحالة يتشكل التمثل من منطلق مضمون الفعل الذي يأخذ رمزيته الاجتماعية من حركية التمثيل الواقعي للفيلم، ولهذا ركز المؤلف كثيراً في ترجمة رموز المجتمع المعالج دراماياً لغرض بناء الصورة السمعية البصرية فتستجيب جميعها لأبعادها الاجتماعية، إذ يقوم الفعل الموسيقي في سياقات الفيلم بقيادة الأفعال الاجتماعية التي لها واقع معياري وإيجابي للجميع، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، تأخذ التمثلات الاجتماعية في الأعمال الفنية الأدائية خصوصية موسيقى الشعوب في سياق الحدث السينمائي، أو القيام بلغات تحاورية قصد استحضار إحساس جمعي يتولد في ذهنية المتفرج، إذ يجعله أكثر نشاطاً وتفعيلاً لمعاني الواقعي السردي.

ومن منطلق آخر، تتعزز البنية السوسيولوجية للمشهد الواقعي من الجانب الأكوسماتيكي بفضل وجود الموسيقى، مما يسمح للكثير من الإنجازات المعرفية بما في ذلك إضفاء الشرعية على التمثل نفسه، كما أن للظواهر المتعلقة بالمعتقدات اللاعقلانية وغير الطبيعية التي لا تتوافق مع معيار التمثل، ومع ذلك يتحقق المعتقد في سياق المعارضة إنتاج معايير التمثل، وفي سياق عملية التفعيل، يقوم المؤلف الموسيقي بنقل مضمون السلوك الاجتماعي إلى لغة مكتوبة موسيقياً يؤديها عبر آلات موسيقية تعبر عن التفكير الاجتماعي، فالأداء الموسيقي في مشهدية الفيلم هو بمثابة نقل الحس العام الذي يتكون من نسق من القيم والمفاهيم والسلوكيات المرتبطة بسمات ومواضيع يحدد معالمها الوسط الاجتماعي المستقر فرداً وجماعة، ومن توجيه وصياغة السلوكيات وردود الفعل المناسبة على حسب العالم الفرنسي "موسكوفيتشي–Moscovici". (السويسي، 2016، صفحة 49)

من جهة أخرى، يقع المؤلف الموســيقي في مســائل تتعلق بصــعوبة تحقيق فعالية الأداء السوسيولوجي تجاه الصورة الفيلمية، وهذا راجع إلى عامل التغيّر والاختلاف للتمثلات الاجتماعية في معناها ومحتواها بحسب اللغة والسياق الثقافي والأيديولوجي، وبحسب اهتمامات وعلاقات التواصل والتخاطب بين أفراد المجموعة، فالأداء السوسيولوجي الذي يعبر موسيقياً في واقعية الفيلم يستلزم بالضــرورة أن يرتبط بمرجعية الهوية الجمعية التي تتلازم مع التمثلات، ومنه تتشــكل الهوية الاجتماعية بناء على تلك العلاقة الاجتماعية التي تضفي على فضائية النسيج المرئي علامة مميزة لهوية السلوك الاجتماعي.

1.3 الموسيقى التصويرية آلية تفعيل معنى سياق المجتمع العسكري

- وصف وتحليل بنية المشهد الموسيقي "مقطوعة حضور عسكري"

في هذه المقطوعة الموسيقية، أخذ الموسيقار أبعاده الفكرية من منطلقات المجتمع العسكري الـذي يؤثر بـدوره على المجتمع المـدني من خلال أطره وقوانينـه السـلطويـة في إطـار سـيرورة اسـتراتيجياته المسـتهدفة. قدّم لنا المؤلف الموسـيقي والمخرج في هذه التيمة الفيلم في جينيريك البداية مشهداً يصف فيه العناصر الصانعة للفيلم، كما عبّر الموسيقار عن النشاط المسلح المتزامن مع وقت اندلاع الثورة الجزائرية، حيث تجسّد في بعده الحربي والجمالي بموسيقى عسكرية صنعت خيالاً حربياً يستحضر فيه طقوس الدوريات العسكرية أثناء هجومها على النقاط المستهدفة.

انطلاقاً من هذا التفسير، بين لنا ذلك الانصهار بين الموسيقى مع مكانية الصورة السينمائية أن هناك استعمار بكل وسائله يريد طمس الهوية الاجتماعية والثقافية التي تنشأ في المنطقة.

2.3 الموسيقى التصويرية آلية تفعيل معنى الحدث الاجتماعي

- وصف وتحليل بنية المشهد الموسيقي "مقطوعة هوية المجتمع"

وفي هذا الحالة، ذهب الموسيقار في تدوين عمله إلى مرجعيات مختلفة تشكل كل منها ملامح الواقع في نسيج الصورة الفيلمية، إذ عالج ظاهرة اجتماعية في ظل وجود ظروف الحرب التي عاشتها الجزائر في زمن الثورة التحريرية، حيث ذهب المؤلف إلى تحقيق ظروف اجتماعية من خلال الجذور العرقية التي ينتمي إليها المجتمع الشاوي (الشرق الجزائري) التي تعتمد كثيراً في موسيقاها على القصبة، وبالتالي حققت هذه المقطوعة بفضل وجود هذه الآلة ملامح الهوية الثقافية من المنظور العرقي.

حيث تأخذنا ألحانها كأننا موجودين بتلك المنطقة وتستحضر كذلك ملامح وهوية المجتمع الشاوي في سلوكياتهم الاجتماعية وكيفية تفاعلهم مع مجريات الحدث اليومي، كما تحددت ملامح الهدوء على حسب حركية الأداء الموسيقي انطلاقا من الظروف السائدة وفقا للمناخ الحربي "الجيوسياسي" الذي يحاصر سكان منطقة الأوراس في إطار الزمن الواقعي في خيالية المشهد.

3.3 الموسيقى التصويرية آلية تفعيل معنى التمثل الديني

- وصف وتحليل بنية المشهد الموسيقي "مقطوعة الدعـــاء"

من منظور السياق المكاني والزماني للمشهد الموسيقي، نلتمس تنافر بين خصوصيات الأداء الموسيقي مع واقعية المجتمع التمثيلي من زاوية الهوية الاجتماعية، ولكن المؤلف ذهبت ميوله نحو وضع مفارقة يستنتجها المتلقي من خلال السياسة المنتهجة من طرف السلطات الاستعمارية من جهة، ومعامل الارتباط والتنافي مع القيم الدينية وبالتالي فقد كان حضور الموسيقى في سردية المشهد كأداء تمثيلي بين النقاط الأساسية التي تثبت قناعة الشخصية بأن قرار تفجير الثورة قرار مسؤول وواعي، وللموسيقى دور في نقل الخطاب بصرامة مع صرامة الشخصية المتمسكة بدينها وإيمانها القوي، ودعوة المجاهدين بقوله تعالى: [يَا أَيهُّا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيثُبِّتْ أَقْدَامَكُمْ]*.

4ـ الموسيقى التصويرية باعتبارها آلية تفعيل واقعية الحدث الفيلمي مصطفى بن بولعيد

من المعروف أن ثقافة الواقع تتولد بفضل تقنية المونتاج الذي يؤدي إلى وجود تناغم الأصوات وتعدد الثقافات في قالب أكوسماتيكي، وفي وسط بيئة ثقافية متنوعة يتم شرح طبيعته وتوضيح أهميته من خلال أدائه الثقافي المشترك، وعليه، يتضح الصوت الأكوسماتيكي من منطلقات بيئته الثقافية، ويرجع الفضل إلى الدراسات القائمة في دراسة الصوت في أوساط متعددة الثقافات، وهذا

ما أكدت عليه عدة تخصصات منها "العلوم الاجتماعية، السيميولوجيا، الإثنوموسيقولوجيا، وكذلك "الأنثروبولوجيا الصوتية" *، لهدف الوصول إلى خلق بيئة أكوسميكية فريدة من نوعها ومطابقة للفضاء الثقافي الذي يتمحور حول مجريات الحدث الدرامي.

مما يدفع المخرج وخاصة في الأفلام الواقعية الجديدة والوثائقية عموما، إلى البحث عن مصادر المواد الصوتية لغرض رسم مخطط سمعي لهندسة مشهد صوتي، متضمنا بداخله مساراً موسيقياً نابعاً من خلفية عرقية تهتم بالموروث الإنساني والقومي للقصة المعالجة في سيناريو الفيلم، ومن جهة أخرى، يريد المخرج تحقيق ذاكرة موضوعية ويقوم بطرح سينمائي شريطة أن يحافظ على المتغيرات التي تحدد السياق التاريخي والمجتمع والطبيعة، (عقيل، 2001، صفحة 12)، ومنه يتحقق التوجه الواقعي من الرؤية السمعية في سردية الوقائع الخيالية للفيلم.

ويتطلب صناعة الفيلم الواقعي التحّكم في معرفة النسيج الصوتي الذي يضفي على سمعية المشهد ذلك الجانب الثقافي المتطابق مع الواقع، ولهذا تختلف تركيبة الثقافة على المكان بجملة من المقاربات العلمية المختلفة، ولكن يبقى المحور الأهم في دراسة هذه التركيبة هو فهم الجانب الأدائي للثقافة عبر المواضيع التي تتمثل في عناصر أساسية وهي : النوع، الموسيقى، العرق، الممارسات المهنية، ويتطلب في هذا السياق أن يكون المكان الجغرافي مبنياً وفق أسس ثقافية تبرز ملامح الانتماء والتي تبرز هي الأخرى ملامح الانتماء إلى المكان والإحساس بجغرافيته.

وبمعنى آخر، ينبغي علينا أن نفكر علمياً في مفهوم الثقافة وفضائية المشهد الفيلمي، حيث يميز هذا التفكير البنيوي الذي يؤسس نسيجاً من الروابط، والذي من خلاله يمكننا أن نحلل مواضع جغرافية الفرد، وجغرافية المجتمع، إلى جانب جغرافية الثقافة بناءاً على الرؤية النقدية في ذلك.

1.4 الموسيقى التصويرية موضوع عرقي في واقع السرد الفيلمي

- وصف وتحليل بنية المشهد الموسيقي "الناي والدف موسيقى الشاوية"

حققت الموسيقى الشاوية وظيفة المساهمة التي يندمج من خلالها الفرد بداخل المجتمع، حيث صنع المخرج منها جوا ثقافيا يتضمن موضوعا عرقيا يرتبط بالمحفزات البنيوية للصورة السمعية، من خلال مشهد الرقص على أنغام الشاوية، وعلى أساس هذه الآلية وتوظيفها في البيئة المشهدية للواقع المعالج تضمن عملية الفهم الجيد للحياة الواقعية لجغرافية منطقة الأوراس.

مما ساعد مخرج الفيلم على توظيف خطاب تبادلي يحلّ مكان اللغة التي يتكلّم بها سكان منطقة شاوية، ومن المعروف أنّ أغلبيتهم ينحدرون من منطقة الأوراس الكبرى، وبالتالي كانت

موسيقى الناي وهو أكثر استعمالا في "منطقة الأوراس الناشطة في فضائية المشهد الواقعي، ظهرت فعالية هذا المشهد من خلال توظيف روح التشويق التي ارتكزت وفق آليات التوقع إلى جانب إيقاعية التتابع التوليفي للقطات التي كانت مختارة في المشهد، الموسيقار في هذه الحالة صنع بالحدث انطلاقا من مرجعيات عرقية وثقافية ينتمي إليها سكان لأوراس.

2.4 الموسيقى التصويرية موضوعاً جغرافياً في المشهد الفيلمي

- **وصف وتحليل بنية المشهد الموسيقي "جبال الأوراس"**

اشتغل السياق المكاني في تحديد موضوعه الثقافي بطريقة جمالية وإبداعية حيث قام باختصار العديد من التفسيرات السردية على الكتابة الفيلمية، إذ ظهر العمل الفني متكاملا بين الجانب العرقي والانتماء الجغرافي في أداء تمثيلي مجسد من طرف المشخصين والشخصيات البطلة لغرض تكوين وقائع الحياة اليومية لسكان منطقة الأوراس.

وفي هذه الحالة يعتبر الانتماء العرقي كمرحلة جد مهمة من المراحل التي تختص بتنظيم المجتمع، وعليه فإن تحديد مفهوم العرق البشري وعلاقته بالمكان الجغرافي مما يسمح لنا بتحديد عرقية المجتمع، من زاوية الفرجة السينمائية، تسمح الخبرة الحسية بمعرفة المنطقة على سبيل المثال من خلال الرؤية السمعية في سياق الإدراك الموسيقي، وتتمثل في كون أن عامل المنطقة وأن الفرد ينتمي إليها، فالخبرة الحسية تتعين بين الإدراك وتحليل المفاهيم المرتبطة بعلاقة الفرد بالفضاء المكاني.

3.4 الموسيقى التصويرية بين التوثيق وإعادة صناعة الحدث التاريخي

- **وصف وتحليل بنية المشهد الموسيقي "تفجير الثورة"**

وفي الحركة الواقعية، يعتمد أصحابها على كتابات فيلمية مقتبسة من الحقيقة المعاشة، مما يسهل رؤية تكوين الصورة السمعية خصوصاً وفق عملية تجسيد الديكور الصوتي لواقع خيالي

مميز، ويبدو أن للحقيقة والواقع في هذا الاتجاه وجهان لعملة واحدة، في حين أن للواقع سمة أساسية في أفلام الواقعية الجديدة، وخاصة في الأفلام الوثائقية.

4.4 حضور موسيقى التراث بمثابة تأكيد للهوية

- **وصف وتحليل بنية المشهد الموسيقي "الفلكلور الشاوي"**

تساهم سياسة المنطقة في تنشئة الصوتية العرقية كأدوات لبناء الهوية الجمعية للفضاء الجغرافي، وعليه فإن المحفز الصوتي هو بمثابة توظيف موسيقى تراثية من الطابع الشاوي الذي يجسد الديكور الصوتي للنشاطات الاجتماعية، من خلال تمثلاته الموجودة في الأداء التمثيلي للمشخصين في سردية اللقطات التي تضمنها هذا المشهد الموسيقي، فالموسيقى الشاوية تعتبر من بين الموسيقى العرقية التي تنتمي إلى جزء من المجتمع الجزائري، ومن جهة أخرى تعبر عن ثقافة الفلكلور التي تزخر بها الثقافة الجزائرية.

5.4 توظيف الأغاني لتوثيق الخيال الواقعي في التدفق السردي

- **وصف وتحليل بنية المشهد الموسيقي "حضور أغنية"**

تساهم الأغنية كثيراً في بناء التعايش الواقعي الذي يدور بين المشاهد والتدفق السردي للقص الفيلمي، حينما تكون موظفة بطريقة صحيحة تخدم مكانية المشهد وانسجامها مع المواقف الدرامية المبررة في أطر المبادئ لتفعيل الواقع، مما يعطي للمشاهد تعاون الاسجناء فيما بينهم في حفر النفق، بحضور أغنية " شعب الجزائر مسلم" رافقتها موسيقى أجواء حماسية بعد نزع الصخرة من بلاط أرضية السجن كمنبه تحفيزي يساند النشاط الرمزي.

نتائج البحث

توصلنا من خلال هذه الدراسة الموسيوقولوجية في ضمنية فهم آليات تفعيل معاني الصورة السينمائية إلى استخراج تقنيات جمالية يستخدمها المؤلف، لغرض بناء الصورة الموسيقية من زاوية تفعيل معاني الواقع الذي أعيد صياغته في المشهد التمثيلي، كما تعتبر تقنيات الموظفة في ضمنية الخطاب الموسيقي، بمثابة آليات التلقي التي تربط بين النص الواقعي المدون في المشهد السمعي والمشاهد الحقيقي الذي يتفاعل وينصهر مع الحس الجمالي للعمل الفني بفعل المشاهد الفيلمية عبر عملية حسية مزدوجة، ومن هذا المنطلق يتبين لنا ما يلي:

- تعتبر الفكرة الأساسية للفيلم بمثابة آلية تجسيد معاني الواقع الذي يستلهم منه المؤلف الموسيقي معطيات الحياة اليومية التي تنبثق منها جملة من المتغيرات تساعده في تشكيل فكرة تدوينه لـسيمفونية الواقع، والتي تبعث من روحها الصوتي أبعادا متنوعة عن وقائع الأحداث المعاشة بواسطة رؤية فنية أصيلة وليدة الإحساس والخبرة من أجل تحقيق خاصية الوعي وجمالية الواقع في ذهنية المشاهد المستمع.
- الموسيقى الأصلية في السياق السردي للخيال الفيلمي تعتبر بمثابة آلية درامية تجعل من المشاهد المستمع أكثر تحفيزا في التماسه للواقع من خلال عوامل الفرجة السينمائية على غرار موسيقى التراث كون عملها الرمزي أقل نشاطا من فعالية الموسيقى الفيلمية الأصيلة.
- إن تكيف المؤلف الموسيقي مع جميع المعطيات الموجودة في سياقات المشهد، التي هي بحاجة إلى دعامة خطابية في درامية بناء الفيلم، تعتبر بمثابة وجود ميزة المهارة الجمالية في وجدانية الموسيقي إزاء صنع منتجه الفني، كما يتمثل المستوى العالي الذي وصل إليه من خلال الممارسة الفنية بمثابة آلية تفعيل البعد التصوري في كتابة الواقعية للموسيقى التصويرية التي تؤلف خصيصا للأفلام الواقعية الجديدة.
- لا تتحقق الكتابة الواقعية في المشهد الموسيقي إلا بتواجد حلقة تواصلية تنشط عبر مستويات كتابية مختلفة، إذ تتشكل هذه الحلقة من خلال تضافر جهود "الموسيقي، السيناريست، والمخرج".

الاستنتاجات

- الموسيقى التصويرية نافذة صادقة من فن الموسيقى.
- تثير الموسيقى في نفوسنا مشاعر إنسانية راقية.
- الموسيقى التصويرية بطبيعتها خلقت لثرَى لا تُسمَع.
- الموسيقى التصويرية بطبيعتها تعبر عن الحال في درجة ثانية فنيا بعد الحوار في الصوت.
- أن الأسباب الفنية للموسيقى التصويرية أنها حملت في المحتوى ما يجعلها عملا فنيا متكاملا ومستقلا بالذات.

- أن الموسيقى كثيرا ما تسيطر على الأحاسيس وتتحكم في العواطف، وهي دون شك إحدى الأدوات الأساسية الرئيسية التي تعزز الأثر السيكولوجي للفيلم على أحاسيس المتلقي.

التوصيات

- إضافة مناهج علمية تعتمد على توضيح الخصائص الفنية للموسيقى التي يتم بموجبها دراسة الموسيقى كإحدى العناصر الأساسية في بنية الفيلم.
- الاهتمام بالدراسات العلمية الخاصة بالتأليف الموسيقي وفتح قسم خاص بالتأليف الموسيقي في الكليات ذات الصلة مثل معاهد السينما، وكليات الإعلام مما يساعد المبدعين والمتخصصين في مجال الإعلام بالإلمام بالقواعد الموسيقية، مما يساعد مؤلف العمل الدرامي على وضع الرؤية الموسيقية والقدرة على تحليل وترجمة الفكر لتوصيله لمن سيقوم بوضع موسيقى الأعمال المؤلفة سواء سينما أو تلفزيون أو مسرح أو دراما مسلسلات .... الخ.
- الاهتمام بعمل دراسات وأبحاث وورش عمل وندوات عن أهمية الموسيقى في حياة الشعوب بشكل عام وأثرها في النمو الثقافي والفني للمجتمع وتحضره بشكل خاص.

المقترحات

يقترح الباحث دراسة العلاقات التوافقية ما بين (الثقافة الموسيقى والنظام الاجتماعي) ضمن العناصر السمعية البصرية في بنية الخطاب لتحقيق القيمتين الدرامية والجمالية في المعادل الصوتي في المنجز الدرامي.

قائمة المراجع

أولا: المراجع باللغة العربية

1. خليل أحمد خليل. (2009). المفاهيم الأساسية في علم الاجتماع. ط 1. بيروت: دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع.
2. كوثر السويسي. (صيف 2016). التمثلات الاجتماعية: مقاربة لدراسة السلوك والمواقف والاتجاهات وفهم آليات الهوية. المجلة العربية لعلم النفس، المجلد 01. العدد 01. ص 49. تاريخ الاسترداد 23، 10، 2022
3. ماكس فيبر. (2013). الأسس العقلانية والسوسيولوجية للموسيقى. ط 1. (حسن صقر، المترجمون). بيروت: المنظمة العربية للترجمة.
4. محمد عبده محجوب. (1975). الاتجاه السوسيوأنثربولوجي في دراسة المجتمع. الكويت: وكالة المطبوعات.
5. مهدي يوسف عقيل. (2001). جاذبية الصورة السينمائية "دراسة في جماليات السينما". لبنان: دار الكتاب الجديدة المتحدة.
6. هارلومبس، و هولبورن. (2001). سوشيولوجيا الثقافة والهوية. ط 1. (حميد حاتم محسن، المترجمون). دمشق: دار كيوان للطباعة والنشر والتوزيع.
7. * سورة محمد، الآية 07.
8. * برؤية أكثر واقعية تساهم المنطلقات الأثنروبولوجية إلى جانب الأنثروبولوجية الصوتية في تحفيز المؤلف على إعادة كتابة صوتية لفضائية المكان، حيث تغذي الكتابة الفيلمية بمرجعيات حقيقية التي تضفي عليها بيئة صوتية مثلما كانت من قبل.

ثانيا: المراجع باللغة الأجنبية

9. kouidri, t. f. (15, 01, 2015). Identité et altérité dans la chanson kabylé engagée des années 1990: Idir et Lounès Matoub et Ait Menguellet. Retrieved 23, 10, 2022, from Insaniyat En Linge: http://journals.openedition.org/insaniyat/13093.
10. legros, p., & monneyron, f. (2006). Sociologie de l'imaginaire. paris: armand colin.
11. sebag, j. (10, 12, 2012). Sociologie filmique et travail la nouvelle revue du travail. Retrieved 23, 10, 2022, from One En Linge: http://journals.epenedition.org/nrt/383.